المحاضــرة السادسة :

الأسلوبيــة النفسيــة

أطلق عليها اسم " الأسلوبية الأدبية " أو " أسلوبية الكاتب " ممثلها " ليوسبتزر"، وهي « اتجاه منهجي في تحليـل الخطاب ، وتعنى بمضمون الرسالــة ونسيـجها اللغوي ، مع مراعاتها لمكونات الحدث الأدبي، الذي هو نتيجة لإنجاز الإنسان والكلام والفن، وهذا الاتجاه الأسلوبي تجاوز – في اغلب الأحيان – البحث في أوجه التراكيب ووظيفتها في نظام اللغــة إلى العلل والأسباب المتعلقة بالخطاب الأدبي، ويعـود سبب ذلك في اعتقــاد أصحاب هذا الاتجاه بذاتية الأسلوب وفرديته ، ولذلك فهو يدرس العلاقة بين وسائل التعبير والفرد ، دون إغفال علاقة هذه الوسائل التعبيرية بالجماعة التي تستعمل اللغة المنتج فيها الخطاب الأدبي المدروس».

فمجال الدراســة في الأسلوبيــة النفسيــة هو علاقة التعبيـر بالفـرد وبالجماعـة ، وتحديــد بواعث اللغــة وأسبابـها ، إذ دعا ليوسبيتزر إلى دراســة الأسلوب الفردي لكاتــب من الكتاب أو أسلوب امة مؤكدا أن كل سمة أسلوبية هي عبارة عن تفريغ أسلوبي فردي، كذلك تعنى بدراسة الخطاب الأدبي ليس من ناحية النظام اللغوي بل من الناحية النفسية للأديب الذي أنتجه .

أسس ليوسبيتزر أسلوبيتــه متأثرا بآراء "كارل فوسلر"، و "برغسون" و"كروس"، معتبرا أن العناصر النفسية تظهر انعكاساتها في عمل الأديب ، كما كان للدراسات اللغوية التي ظهرت في أواخر القرن التاسع عشر في أوروبا إسهام كبير في هذا الاتجاه الأسلوبي، كما أن أعمال "كروتشيه" ذات النزوع المثالي ، خاصة كتابه "علم الجمال" الذي جعل فيه

الإنسان المركز الذي يستقطب الدراسات الجمالية، من العوامل التي ساهمت في ظهور الأسلوبية النفسية .

وقد انطلق "ليوسبيتزر" من مرتكزات ، تتمثل فيما يلي:

1-نقطة الانطلاق في البحث الأسلوبي هي العمل الأدبي نفسه، باعتباره نصا لغويا قائما بذاته.

2-معالجة النص الأدبي تكشف عن ظروف صاحبه، لذلك فإن البحث الأسلوبي هو بمثابة جسر بين علم اللغة وتاريخ الأدب.

3-الخصيصة الأسلوبية هي انزياح شخصي أي طريقة خاصة في الكلام تنزاح عن الكلام العادي.

4-اللغة تعكس شخصية الكاتب ، ولكنها كغيرها من وسائل التعبير تخضع لهذه الشخصية .

5-مبدأ العمل الأدبي هو فكر صاحبه، وهو عنصر التماسك الداخلي فيه.

6- لا سبيل إلى بلوغ حقيقة العمل الأدبي دون التعاطف مع صاحبه، وان الأسلوبية في اصطناعها "الحدس" وعملها التحليلي تصبح (نقدا تعاطفيا) لا غنى عنه .

درس سبيتزر وقائع الكلام وحلل الانزياح الفردي الذي ينم عن شخصية المبدع ، وأولى عناية بدراسة الصيغ المعبرة التي أوردها المبدعون في لغتهم الخاصة، ودعا إلى الاستعانة بعلم الدلالة التاريخي في دراسة الأسلوب الأدبي لأنه يتيح للباحث فهم شخصية الكاتب ويتيح له أيضا التعمق في الكلمات نفسها في حقبة تاريخية معينة، فالكلمة تحمل في عمقها شخصية الكاتب وبالتالي حضارته وثقافته، فالأسلوب الفردي يتفرع من ماهية جماعية، وتتبع التطور التاريخي لكلمة يسهم في إنارة بعض البؤر المظلمة في النص .

تأثر "ليو سبيتزر" في تأسيس أسلوبيتـه بفقه اللغـة الذي بأ منـه ، إذ نشا على يد بعض العلماء الألمان الذين تفرغوا لدراسـة اللغات الأوروبية المنحدرة من أصل لا تيني، لكنه لم يقتنع بما قاموا به من دراسات فأستاذه "لوبكة" تناول اللغة الفرنسية في ما قبل تاريخها، ولم يعالجها في تاريخها الحي المعاصر، كما لم يقتنع بدراسة التحولات الصوتية والقوانين الآتية التي شغلت الصدارة في بحوث علماء اللغة واستفاد من أراء "هوغو شوشارت" فأخذ بفكرة الإبداع اليومي الدؤوب، واعتنى بالتحول اللفظي المعبر عن مقاصد الشخص المتكلم، دون إنكار وجود القوانين الذاتية في اللغة إذ يسعى إلى إدراك الذات الناطقة (فردا كان أم جماعة) .

وفي هذا المجال – الأسلوبية النفسية – درس باشلار موضوعات التكوين الأدبي استنادا إلى نفسية الكاتب التي تظل في نظره وراء كتاباته ، وميز "رولان بارت" الأسلوب عن اللغة ، فالأسلوب مرتبط بالمزاج ، واستعان "شارل مورون" بالتحليل النفسي، وتوصل إلى أن شخصية الكاتب تتجلى عبر مختلف الصور والتراكيب...، ودرس "هنري موريير" النماذج الأساسية للأساليب من زاوية نفسية، وهذه الدراسات تقوم على فكرة واحدة هي أن الأسلوب هو الإنسان، لذلك سميت أيضا بـ" أسلوبية الكاتب" .

اعتبرت الأسلوبية النفسية تيارا حاسما في « تأسيس أسلوبية أدبية تتخذ من النص الراقي موضوعها، وتنفذ من بنيته اللغوية وملامحه الأسلوبية إلى باطن صاحبه ومجامع روحه، وهي لهذا تعتبر منعرجا حادا بالقياس إلى مرحلة البدايات مع علم الأسلوب شارل بالي» ، ولكن رغم هذا لم تسلم من الانتقادات فقد أخذ عليها "ريفاتير" إغراقها في الذاتية والانطباعية وابتعادها عن الموضوعية واخذ "رينيه ويلك" على "سبيتزر" أنه جعل اللغة آخر مرحلة في التحليل حيث يبدأ بالتحليل السيكولوجي ثم يعود إلى اللغة ليؤكد ما توصل إليه ، وذهب "ستار وبنسكلي" إلى أن منهج "ليو سبيتزر" متعدد الأبعاد إلا أنه لا يصلح للتطبيق على كل نصوص، إذ يجد تطبيقه الأمثل في النصوص ذات الطابع سير ذاتي .

وهو ما ذهب إليه "صلاح فضل" فهذا المنهج يصلح لأدباء معينين ولا يصلح لغيرهم، ثم انه يغفل العناصر الجمالية في الأسلوب، لان الهدف الأساسي من الدراسة ينبغي أن يكون هو النص لا المؤلف، ويجب أن يتركز البحث في التأثيرات الأدبية والوسائل الإيحائية التعبيرية التي استعان بها المؤلف .